أسلوب الحوار في القرآن الكريم وتوظيفه في حقل الدعوة إلى الإسلام

الأستاذ الدكتور شاكر عالم شوق

أستاذ قسم الدعوة والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد، فهذه مقالة وجيزة بعنوان: "أسلوب الحوار في القرآن الكريم وتوظيفه في حقل الدعوة إلى الإسلام"، ذكر فيها الباحث معنى الحوار وأخلاقياته في القرآن الكريم مع بيان أنواعه، ثم أورد بعض النماذج من الحوار القرآني، وأخيرا وضح دور الحوار القرآني في حقل الدعوة إلى الإسلام. وهذا ملخص ما جاء في هذه المقالة. وبالله التوفيق.

تمهيد

إن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى والوحي الإلهي ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: ٤)، أنزله الله عز وجل على رسوله ونبيه وصفيه وخليله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتحية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهو دستور الحياة الكامل للبشرية جمعاء، و هو يحتوي على ما تحتاجه البشرية كافة في الدنيا والآخرة من العلوم والفنون والمعارف، و فيه علم الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء...﴾ (الأنعام: ٣٨).

وإن القرآن الكريم بعمومه وشموله لم يترك لنا بابا، إلا وقد أورده وتناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي جادل بها معارضيه وخصومه في صورة جلية واضحة يعرفها الداني والقاصي، الجاهل والعالم، العام والخاص، من غير شك وشبهة، بأسلوب جلي و واضح وطريقة سليمة، لا يحتاج إلى إعمال الذهن والعقل كثيرا في المسألة

دراسات الجامعة الإسلامية العالمية
المجلد.١٣ ، ديسمبر ٢٠١٧م
ص. ٢٧-٤٤
IIUC ©
ISSN 1813-7733

المطروحة، لأن القرآن الكريم يذكر لنا الحقائق ويقررها بوضوح وبيان، فيدركها الإنسان بنفسه بسهولة ويسر دون عناء.

ومن الموضوعات المهمة والأمور الضرورية التي تناولها القرآن الكريم: موضوع الحوار، وفيه كثير من آيات الحوار التي حكاها الله تعالى عن أنبيائه وأقوامهم أو عن أهل الآخرة أهل الجنة والنار، أو عن الآباء والأبناء، أو عن أصحاب الديانات من اليهود والنصارى وعن المشركين والصابئين وغيرهم.

وإن موضوع الحوار في القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التي تدور أساسا على الإيمان بالله ورسله، وعلى وحدانيته وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولهذا كانت موضع جدل وحوار.

وقد حكى لنا القرآن الكريم صورا مختلفة للحوار، كحوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة والبشر وهو الجبار المنتقم ذو القوة المتين القادر على إنهاء الخلاف كما يجب وكما يريد، ولكنه سبحانه وتعالى حاورهم وتقبل منهم ما حاوروا فيه، وإن كان فيه ما يشبه الإنكار والاعتراض أحيانا على الله في ظاهر اللفظ.

و إذا تدبرنا الآيات القرآنية المتعلقة بالحوار نجد بكل وضوح أن القرآن الكريم قد تناول القضايا الأساسية في الحوار مثل: أسباب الحوار ودوافعه وأغراضه وأنواعه، وأصناف المحاورين، وأخلاقيات الحوار ودائرته وأصوله وضوابطه، وما إلى ذلك. وحين نتأمل تلك الآيات نخرج برؤية قرآنية واضحة حول الحوار.

أما موضوع الحوار في القرآن الكريم فهو طويل يحتاج إلى دراسة مستفيضة مكثفة، وإنني في هذه العجالة أردت أن أشير إلى مفهوم الحوار وأهميته وأنواعه وضوابطه وشروطه، وتوظيفه في حقل الدعوة الإسلامية من خلال وقوفي ودراستي لآيات القرآن الكريم التي تناولت كثيرا من الحوارات المختلفة مع استنباط دلالات هذه الحوارات في آداب الحوار، ومنهجه، ومقوماته.

مفهوم الحوار لغة

إن كلمة **الحوار** مشتقة من الحور، وهو" الرجوع عن الشيء و إلى الشيء"[١] كما ورد في تاج العروس من جواهر القاموس. وجاء في لسان العرب: "وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة."[٢]

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورة والحوار: المراودة في الكلام ومنه التحاور."[٣]

وقد وردت مادة هذه الكلمة بالمعاني المذكورة في عدد من الآيات الكريمة من القرآن الكريم، وهي كما يلي:

١. قال الله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ (الانشقاق: ١٤)، قال الإمام القرطبي في تفسيره للآية: "أي: لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب، ثم يثاب أو يعاقب... فالحور في كلام العرب الرجوع."[٤]

٢. وقال الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ (المجادلة: ١)، وجاء في كتب التفاسير: تحاوركما أي: "تراجعكما الكلام."[٥]

٣. وقال تعالى: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ (الكهف: ٣٤)، ورد في تفسير القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب ويقال: كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورا ولا حوارا أي ما رد جوابا."[٦]

كما وردت مادة الحور في الأحاديث النبوية الشريفة عليه أفضل الصلاة والتحية بمعنى الرجوع، ومنها:

١. قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك، إلا حار عليه."[٧] أي: "رجع عليه الكفر."[٨]

٢. وورد أيضا في الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من: "الحور بعد الكور."[٩]ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام :الحور بعد الكور إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية. و أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستعيذ من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة.

وقد ظهر مما سبق أن مفهوم كلمة الحوار لغة يدور حول المراجعة في الكلام بين شخصين أو طرفين أو أكثر، والمحاورة هي تداول الكلام بين طرفين أو أطراف.

مفهوم الحوار اصطلاحا

وأما مفهوم الحوار اصطلاحا، فهو يناسب معناه اللغوي، وقد عرفه الباحثون بعدة تعاريف، منها ما يأتي:

١. جاء في كتاب أصول الحوار الذي نشرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي أنه: "مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة."[١٠]

٢. وعرف الدكتور صالح الحوار بأنه: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، أو إثبات حق، أو دفع شبهة، أو رد الفاسد من القول والرأي."[١١]

٣. وقال الأستاذ عجك في تعريف الحوار: "إنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر."[١٢]

٤. وذكر الدكتور السقا في تعريف الحوار أن: "المحاورة أي الحوار هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمرا ومجديا."[١٣]

٥. وقال الدكتور التركستاني: "الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء كانت تبادلا رسميا أم غير رسمي، مكتوبا أم شفويا، وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها..."[١٤]

٦. وعرف الدكتور وزين الحوار بأنه: "تبادل للرأي والفكر بين طرفين أو أطراف وفق ضوابط محددة لدوافع وأغراض مختلفة."[١٥]

فتبين مما ذكرنا أن الحوار في الاصطلاح هو التباحث والمحادثة وتبادل الآراء والأفكار مع عرض وتقديم الأدلة والبراهين بين شخصين أو فريقين مع التقيد بالشروط والضوابط المطلوبة حول موضوع ما بهدف معين وغاية منشودة.

أخلاقيات الحوار في القرآن الكريم

إننا إذا فتشنا آيات القرآن الكريم التي تناولت الحوارات القرآنية نجد أنها اشتملت على عديد من الأخلاقيات والآداب التي يجب أن يلتزمها المحاور المسلم، ويتقيد بها عند حواره مع الآخرين. و نذكر بعضا منها فيما يلي:

١- الحوار بالطريقة التي هي أحسن

من أهم أخلاقيات الحوار التي وردت في القرآن الكريم، هو الحوار بالطريقة التي هي أحسن والبعد عن الفظاظة والغلظة، وترك القسوة والعنف عند الحوار والنقاش مع الآخرين. فيجب على الذي يحاور مع غيره الالتزام والتمسك بالأخلاق الحسنة والنقاش بالطريقة التي هي أحسن، كما قال الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥) ،و قال جل وعلا أيضا في كتابه: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن.....﴾ (العنكبوت: ٤٦)، لأن الحوار بالطريقة التي هي أحسن والمحاورة الرصينة الهادئة والنقاش الودي الرقيق تفتح القلوب المغلقة، وتؤثر في النفوس الإنسانية، وتستميل الطبائع النافرة، فتستأنسه وتذعن له وتطيعه. كما يلزم عليه الابتعاد عن الفظاظة والغلظة، و ترك القسوة والعنف عند الحوار والنقاش مع الآخرين، حيث قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم:﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: ١٥٩)، لأن الفظاظة والغلظة والقسوة والعنف تنفر الآخرين عنه، وتولد في القلوب الكراهية والبغض، وبالتالي يبتعد عنه الناس، ولا يقبل منه شيئا، بل أحيانا يصبح عدوا لدودا له.

و هذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم تبرز لنا وتكشف أمامنا عن أهم وأبرز سر من أسرار نجاح دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيطرتها على النفوس والقلوب. وإننا نجد في سيرة الرسول العطرة عليه الصلاة والسلام قدوة رائعة وأسوة حسنة لكل داعية ومحاور في الالتزام بالتي هي أحسن خلال الحوار مع الآخرين، والبعد والتجنب عن كل أنواع الفظاظة والغلظة والقسوة والعنف.

٢- الالتزام بالصبر

ومن أخلاقيات الحوار وآدابه التي تناولها القرآن الكريم الالتزام بالصبر والحلم. فيجب على الداعية و المحاور أن يتصف بالصبر والحلم، وأن يبتعد عن الغضب والغيظ والاستفزاز مهما كان الجو والموقف. قال تعالى آمرا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ (النحل: ١٢٧) وكما أمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة السلام بالعفو عن الناس، وترك الغيظ والغلظة عليهم، والإعراض عن الجاهلين بقوله:﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٢). وبالصبر والحلم يمكن أن يحصل المرء على ما لا يحصل بغيره.

٣- الرحمة والشفقة

ومن أخلاقيات الحوار وآدابه التي ذكرت في القرآن الكريم هو أن يكون المحاور والداعية متصفا بالرحمة والشفقة، أي أنه ينبغي أن يكون رحيما بمن يحاور معه وشفيقا عليه، لأن هدفه من المحاورة هداية الآخرين وإرشادهم إلى الحق. فبالرحمة والشفقة يمكن له الوصول إليهم بسهولة، والسيطرة على قلوبهم، والنفوذ إلى عقولهم. ولذا نجد في القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى يأمر رسوله بالرحمة ولين الجانب. فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (آل عمران: ١٥٩). كما كانت الرحمة والشفقة من عادة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في الحوار والنقاش والتعامل مع قومهم وأتباعهم. قال الله تعالى: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ (غافر: ٣٢).

٤- دفع السيئة ومقابلتها بالحسنة

ومن أخلاقيات الحوار التي أولى بها القرآن الكريم هو أن يدفع المحاور والداعية السيئة بالحسنة. فيجب عليه أن يواجه العنف باللطف، ويقابل القسوة بالشفقة، ويجيب عن الكلام الفاحش بالطيب، ويرد عن الكلمة القاسية بالكلمة اللينة، ويعامل مع الذي يحتقره ويذله بالاحترام والعزة. وقال الله تعالى:﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٦).

٥- الحرص على إظهار الحق والوصول إليه

ومن أخلاقيات الحوار وآدابه التي نجدها في القرآن الكريم هو الحرص على إظهار الحق والوصول إليه. فيلزم على المحاور أن يكون حريصا على إظهار الحق والوصول إليه، وأن يجتهد دائما لأن يكون الحوار مثمرا ومفيدا. كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على أمته. وقد قال الله تعالى واصفا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم:﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨).

٦- الاتفاق على نقطة مشتركة مع المخالف

ونجد في القرآن الكريم أدبا رفيعا من أخلاقيات الحوار، وهو الاتفاق والموافقة مع المخالف على نقطة مشتركة بين المحاورين، ليكون منطلقا للإقدام والإقبال في الحوار مع المخالف. قال الله تعالى:﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران: ٦٤).

فهذه هي بعض الأخلاقيات والآداب للحوار التي عثرنا عليها بعد دراستنا وقراءتنا وتدبرنا للقرآن الكريم.

أنواع الحوار القرآني

إننا إذا بحثنا في القرآن الكريم، نجد أنه اشتمل على أنواع متعددة وصور مختلفة من الحوارات. ويمكن لنا أن نصنف تلك الحوارات نظرا إلى موضوعاتها حيث تناولت كثيرا من القضايا المتعددة، مثل: قضية التوحيد والألوهية والعبادة ونبذ الشرك وعبادة الأصنام والأمور الأخلاقية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. كما يمكن لنا تقسيم الحوارات القرآنية نظرا إلى المتحاورين إلى أنواع مختلفة حيث إن القرآن الكريم عرض لنا صورا من الحوارات التي جرت بين الله سبحانه وتعالى وبين مخلوقاته من الملائكة والبشر والجن وغيرهم. فنظرا إلى جانبي الحوار أي المتحاورين، نستطيع أن نقسم الحوار القرآني إلى عدة أنواع، ومنها كما يلي:

أ- حوار بين الله تعالى وبين مخلوقاته كالملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنين والكفار والمشركين وإبليس وغيرهم.

ب- حوار بين الأنبياء والرسل وبين أقوامهم.

ت- حوار بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين أهل الكتاب.

ث- حوار بين المؤمنين.

ج- حوار بين المؤمن والكافر.

ح- حوار بين أصحاب الجنة وبين أصحاب النار.

خ- حوار بين الإنسان والحيوان.

د- حوار بين الكافرين والمشركين.

ذ- حوار بين الحشرات.

ر- حوار بين الجن.[١٦]

نماذج من الحوار القرآني

و قلنا إن القرآن الكريم قد حوى أنواعا متعددة وصورا مختلفة من الحوارات، وفيما يلي نذكر بعضا منها:

أ- حوار الله تعالى مع ملائكته

قال الله تعالى:﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.﴾ (البقرة: ٣٠-٣٣).

ب- حوار الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى:﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم.﴾ (البقرة: ٢٦٠).

ت- حوار الله تعالى مع نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم.﴾ (هود: ٤٥-٤٨).

ث- حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى:﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين. قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين.﴾ (الأعراف: ١٤٣-١٤٤).

ج- حوار الله تعالى مع إبليس اللعين

قال الله تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين. قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم. قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (ص: ٧٥-٨٣).

ح- حوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب

قال الله تعالى:﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. يا أهل الكتاب

لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين.﴾ (آل عمران: ٦٤–٦٨).

خ– حوار موسى عليه السلام مع فرعون

قال الله تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. قال فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.﴾ (طه: ٤٩–٥٢).

د– حوار بين يوسف عليه السلام وبين صاحبيه في السجن

قال الله تعالى:﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان. وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين.﴾ (يوسف: ٣٦–٤٢).

ذ– حوار بين أصحاب الجنة وبين أصحاب النار

قال الله تعالى:﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين. الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون. وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. ونادى أصحاب الأعراف

رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون. أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين.﴾ (الأعراف: ٤٤-٥٠).

ر- حوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين قومه

قال الله تعالى:﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين. وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون. وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.﴾ (الأنعام: ٧٤-٨١).

ز- حوار بين مؤمن آل فرعون وبين قومه

قال الله تعالى:﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب. يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد. ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد.﴾ (غافر:٢٨-٣٣).

توظيف الحوار القرآني في حقل الدعوة إلى الإسلام

يبدو لنا مما سبق ذكره أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى أنزله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. وهو دستور كامل شامل للبشرية جمعاء. وأن القرآن الكريم اشتمل على عدد من الحوارات المتنوعة في موضوعات مختلفة.

وإن تلك الحوارات التي وردت في القرآن الكريم تعتبر تحفا رائعة وكنوزا زاخرة، تتوفر فيها تعليمات وإرشادات وعبر ونصائح، وتوجد فيها آداب وضوابط وقواعد للحوار يحتاج إليها الداعية المسلم في نشاطاته الدعوية، ويستفيد منها ويستغلها ويوظفها حين يباشر مهماته ومسئولياته في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

ولا شك في أن الحوار هو أهم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وهو أنجح أسلوب من الأساليب التي يتبعها الداعية المسلم في أعماله الدعوية. ويوجد في القرآن الكريم عدد كبير من الحوارات في صور مختلفة والتي تتعلق بموضوعات عديدة، مثل: التوحيد والإيمان والعبادة والبعث واليوم الآخر والثواب والعقاب وغيرها.

وإننا إذا تعمقنا النظر في تلك الحوارات القرآنية وفكرنا فيها، ندرك أن الله تبارك وتعالى أوردها وجاء بها في القرآن الكريم ليعلمنا القواعد والضوابط والآداب والأخلاقيات والأساليب التي يجب أن يتمسك بها المسلم عند حواره مع الآخرين، سواء كان الحوار مع أفراد أسرته من الأبناء والأولاد أو مع غيرهم من الكفار والمشركين أو مع الآخرين من غيرهم.

فالحوارات القرآنية تزخر وتمتلئ بما يحتاجه المسلم عند حواره مع الآخرين من الآداب والضوابط والأصول وغيرها. وفيها من الإرشادات والتعليمات والعبر والنصائح ما يغنى المسلم عن غيره. ونذكر فيما يلي بعضا من الحوارات القرآنية ثم نحللها قدر المستطاع:

أولا: حوار الله تعالى مع ملائكته

قال الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال

ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.﴾ (البقرة: ٣٠–٣٣).

إن هذا الحوار القرآني أحد النماذج من الحوارات الكثيرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، و أوردها الله عز و جل فيه ليعلم الناس طريق الحق والخير ويهديهم إلى الصراط المستقيم، و لتكون منهجا في الحياة يتعلمون منه ويتعاملون به. و إن هذا الحوار محاورة الله سبحانه وتعالى مع ملائكته بطريقة تختلف عن سائر الحوارات القرآنية الأخرى، فهو نموذج أعلى للتعليم والإرشاد والقدوة والتوجيه، حيث جعل الله سبحانه وتعالى من ذاته معلما ومرشدا وموجها وقدوة عليا يقتدى بها. ففي هذا الحوار الذى دار بين الله تعالى وبين ملائكته نوع من التصور والتخيل لإبراز المعاني المعقولة بالصور المحسوسة تقريبا للأذهان، حيث إن هذه الآيات تعتبر من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها، لأنها إما استشارة الله تعالى من الملائكة، وهذا محال في حقه تعالى. وإما إخبار من الله سبحانه وتعالى لملائكته ثم اعتراض منهم، وهذا أيضا لا يليق بشأنه سبحانه وتعالى ولا بملائكته، حيث ورد في القرآن الكريم في وصف الملائكة قوله تعالى:﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم:٦).

إلا أن الله تعالى أراد بهذا الحوار الذي دار بينه وبين ملائكته أن يعلم لمخلوقاته دروسا عديدة، منها:

١. تعليم الشورى التي هي واجب على ولي الأمر، كما جاء في موضع آخر من القرآن الكريم، فقال تعالى: وأمرهم شورى بينهم.
٢. تعليم الله سبحانه وتعالى الناس وخاصة ذوي الجاه والسلطان منهم أن يقبلوا آراء المخالفين بصدر رحب، و ألا يضيقوا بها.
٣. معالجة الخلاف بالمنطق والحجة دون اللجوء إلى الغضب والغطرسة.
٤. مواجهة الموقف باللطف والشفقة دون استخدام العنف والشدة.
٥. قبول رأي المخالف وكل ما يوجه إليه من تساؤلات من جانب المخالف، ثم الإجابة عنها بعقلانية و روية وصبر.

فالداعية والمحاور المسلم يستفيد من هذه التعليمات والإرشادات والدروس أثناء القيام بأعماله الدعوية وعند حواره مع الآخرين.[١٧]

ثانيا: حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه

قال الله تعالى:﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا. قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا. قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا.﴾ (مريم: ٤٢–٤٧).

إن هذا الحوار محاورة للولد الصالح مع الأب الطالح. وإذا فكرنا في هذا الحوار نجد أنه قد اشتمل على عدد من الإرشادات و الدروس، منها ما يأتي:

١. التمسك بالأدب والتقدير والاحترام عند محاورة الولد مع والده، وعند محاورة الصغير مع من أكبر منه. وهذا أهم وأول أمر يلتزم به المحاور عند حواره مع الآخرين. فقد بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام حديثه مع والده بهذا الأدب والاحترام والتقدير، فخاطبه بقوله: (يا أبت) ... وهكذا ينبغي أن يخاطب الولد والديه، والصغير الكبير بأدب ولطف واحترام، وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال:﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.﴾ (الإسراء: ٢٣–٢٤).

٢. بدء الكلام بالأهم فالأهم. وأهم الأمور وأصلها في دعوة الأنبياء والرسل جميعا هو التوحيد. وقد بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام حواره مع والده بهذا الأصل الأصيل والركن الركين الذي قام عليه جميع الرسالات، فخاطبه بقوله:﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾. وهذا ما يجب على الدعاة والعلماء عند دعوتهم وحوارهم مع الآخرين.

٣. توثيق الكلام وتوكيده بالعلم والاعتماد على الحجة والبرهان. وهنا نجد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام يؤكد لوالده أنه إنما يستمد علمه في دعوته من مصدر علوي، وليس من ذات نفسه، فيقول:﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾.لأن الآباء عادة يأنفون النصيحة من أبنائهم، وكذلك الكبار من الصغار. وهذا درس مهم وضروري يجب الالتزام به على كل داع ومحاور عند محاورته مع الآخرين.

٤. حرص الداعية و المحاور واهتمامه بمصلحة الطرف الآخر، حيث نرى سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه أعبر عن خوفه على أبيه من اتباع الشيطان وعبادته فيقع عليه عذاب من الله تعالى، فقال مخاطبا أباه:﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا.﴾ فيجب على الداعية أن يأخذ الدرس من هذا الحوار.

٥. الحلم و الصبر على المدعوين، وحسن التعامل والصحبة معهم بالرغم من تلقي العنف والقسوة عن جانبهم. و في هذا الحوار نجد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يفقد صبره وحلمه وعطفه وأدبه مع أبيه مع قسوة عباراته وجهالة كلماته. فهنا أجاب إبراهيم بقوله:﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾. وإن هذا من الدروس المهمة والإرشادات النافعة لكل داعية. فيجب أن يتمسك بها.

وهذه هي بعض الدروس التي يمكن أن يستنتجها الداعية من هذا الحوار، فيستفيد بها في مجال دعوته إلى الله تعالى.

ثالثا: حوار نوح عليه السلام مع ابنه

قال الله تعالى:﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.﴾ (هود: ٤٢-٤٣).

إن هذا حوار سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه، فهو محاورة بين الوالد الصالح وبين الولد الطالح. ونجد في هذا الحوار عددا من الدروس والآداب التي يجب على داعية ومحاور أن يتمسك و يلتزم بها، ونذكر بعضا منها فيما يلي:

١. التمسك باللطف والرحمة والشفقة عند الحوار: وفي هذا الحوار نجد أن حوار نوح عليه السلام يفيض باللطف والرحمة والشفقة والرأفة، فهو يخاطب ابنه العاصي والطالح بكل شفقة وحنان أبوي، فقال:﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين.﴾ . وهكذا يجب على كل داعية ومحاور أن يخاطب من يدعوه أو يحاوره باللطف والشفقة.

٢. حرص الداعية والمحاور على مصالح المدعوين والمحاورين: فهذا نوح عليه السلام يحرص على ابنه لإنقاذه من الهلاك والضلال، كما يحرص على سلامة ابنه ونجاته من عذاب الله

تعالى. وهكذا يلزم على الدعاة والمحاورين أن يحرصوا على مصالح المدعوين والذين يحاورن معهم.

٣. الاهتمام بالتربية والدعوة إلى الخير: يهتم نوح عليه السلام بتربية ابنه ودعوته إلى الخير والفلاح. فهذا درس وتعليم وإرشاد لكل داعية ومحاور، وينبغي لهم أن يهتموا ويراعوا ويعزموا بتربية من يدعو ومن يحاور.

وهذه هي بعض الدروس والعبر والمستفادات في حوار نوح عليه السلام مع ابنه. وهكذا إذا بحثنا في الحوارات القرآنية نجد فيها كثيرا من الدروس والعبر والإرشادات والتعليمات التي تعد زادا وسلاحا لكل من يشتغل ويعمل في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

خاتمة

توصل الباحث بعون الله وكرمه بعد الدراسة والبحث إلى أن الحوار هو البحث والنقاش مع الآخرين بحجج قاطعة وأدلة دامغة مقنعة بمراعاة الآداب والأخلاقيات والالتزام بالشروط اللازمة. والحوار له أنواع عديدة، منها: حوار بين الله تعالى وبين مخلوقاته، وحوار بين الأنبياء والرسل وبين أقوامهم، وحوار بين الحيوانات، وحوار بين الحشرات، وحوار بين الجن وغيرها. كما لابد للحوار من آداب وأخلاقيات معينة، وهي: الحوار بالطريقة التي هي أحسن والالتزام الصبر والرحمة والشفقة ودفع السيئة بالحسنة والحرص على الوصول إلى الحقيقة وإبراز الحق والاتفاق مع المخالف على نقطة مشتركة وغيرها.

وتبلور كذلك أن الحوار أهم وأنجح وسيلة في حقل الدعوة إلى الله تعالى، ويجب على الداعية أن يتمسك بالحوار مع مخالفيه والمجادلة بالتي هي أحسن، وأن يستفيد من الحوارات الواردة في القرآن الكريم في عمله الدعوى.

وهذا ما تيسر لهذا الباحث الحقير صاحب الزاد الزهيد. والكمال لله وحده. و أهيب لكل العلماء والباحثين أن يولوا الاهتمام والعناية بالدراسات القرآنية، وخاصة في الحوارات القرآنية والاستفادة منها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١) الزبيدي،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: طبعة دار مكتبة الحياة، ١٣٠٦هـ) ، مادة: حور.

٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦ه)، مادة : حور

٣) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: طبعة دار المعرفة، د.ط و ن)، ص١٣٥.

٤) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة : طبعة دار الكتاب العرب، ١٩٦٧م، د.ط)،ج ١٩، ص٢٧٣.

٥) الزحيلي، د وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،(دمشق:دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨ هـ)، ج٢٨، ص٩.

٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٣٤٩

٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، فيكتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، رقم الحديث:٦١

٨) النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي لصحيح مسلم، (القاهرة: طبعة دار أبي حيان، ١٩٩٥م)،ج١،ص٣٢٦.

٩) رواه الإمام الترمذي في سننه في باب ما يقول إذا خرج مسافرا، رقم الحديث: ٣٤٣٩

١٠) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أصول الحوار،(الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ)، ص٩.

١١) بن حميد، د. صالح بن عبد الله، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، (جدة: طبعة دار المنارة، د.ت)، ص٣

١٢) عجك، بسام داوود، الحوار الإسلامي المسيحي، (بيروت: طبعة دار قتيبة، ط١، ١٤١٨هـ)، ص٢٠

١٣) السقا، د. منقذ بن محمود، الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه، (مكة المكرمة: طبعة رابطة العالم الإسلامي، ط١، د.ت)، ص.٤

١٤) التركستاني، د. أحمد سيف الدين، الحوار مع أصحاب الأديان: مشروعيته وشروطه، (نسخة إلكترنية، المكتبة الشاملة)، ص١٠.

١٥) وزين، د. عبد الهادي، أصول الحوار مع الآخر في القرآن: دراسة موضوعية، (نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة وموقع إسلام ميسزكوم) ص.٥

١٦) زمزمي، د. يحيى بن محمد، الحوار: آدابه وضوابطه، (الرياض: دار التربية والتراث، ط١، ١٤١٤هـ)، ٧٤-٧٥.

١٧) فرج، خليل إبراهيم، الحوار في القرآن الكريم: آدابه وفضائله، (من موقع الكتب كيفي كوم) ص ٣٤.